المعلم
امرتا سوارو باننداپوری

”سوامي“ هو نائبُ الرئيس ”أمريتا فيشوا فيديابيثام“، ويحملُ درجةَ الماجستير في الفلسفة. هو التلميذُ الرئيسيُّ (أمّا Amma) الرئيسيِّ وقد عاش في (Amritapuri Ashram) منذ إنشائِها أواخرَ 1970م. وقد سافرَ إلى جميعِ أنحاءِ العالمِ في خدمةِ (Amma).

المعلم امرتا سوارو باناندا پوری

تحياتي للجميع. في البداية أودّ أن أعبر عن خالص شكري لحكومة دولة الإمارات على إقامة هذه الفعالية وإتاحة هذه الفرصة الرائعة لنا.

كما أود قبل أن أبدأ حديثي بالتأكيد على أمر واحد. دعونا نعتبر كلمة "البشر" شاملة للجميع، دعونا نجعلها شاملة للجميع بدلاً من الحديث عن مسيحي ومسلم. بالطبع سأقتبس من الديانة الهندوسية ولكن على الأقل في هذه المناسبات، وفي المؤتمرات من هذا النوع، دعونا نستخدم كلمة "البشر".

دعونا نقول إننا أبناء الرب.

لا شك في أن موضوع الأخوة الإنسانية بالغ الأهمية في عالمنا اليوم، والذي يشهد كل هذا الاستقطاب كما وصفه شري بوب، والذي يظهر في كل جوانب الحياة البشرية المعاصرة. و لأكنو صريحاً للغاية، فالأخوة البشرية أمر لا يمكن فرضه من الخارج – وأعتذر لصراحتي.

من منظور موضوعي، كيف يمكن أن نتخيل الأخوة الإنسانية طالما استمر وجود الاختلافات الضخمة في مجالات الدين والاقتصاد والتعليم فيما بين البشر، وإذا لم يتم التعامل بفعالية مع موضوع المساواة بين الجنسين، وإن لم يختف التمييز العرقي

المتأصّل فينا، وإذا فشلنا في ردم الهوة التي تزداد اتساعاً بيننا كبشر؟ كما أننا نشهد انقساماً هائلاً في العلاقات الأسرية، وبالمختصر، تتطلب ممارسة الأخوة الإنسانية على الصعيد العالمي تغييراً في فكر الأشخاص.

معلمي شري ماتا أمريتان أندامايا ديفي، أو "أمّا"، القائد الروحي والإنساني الشهير، يقول إن عدد سكان العالم يقدّر اليوم بحوالي 7.7 مليارات نسمة، يعيشون في 7.7 مليارات ذهن، في 7.7 مليارات عالم مختلف. فالبشرية أصبحت تتمحور حول الذات بالكامل.

وفي الوقت الحالي، سواء بوعي منا أو دون وعي، أصبحنا نعيش في عوالمنا الصغيرة من هواتف أندرويد والحواسيب المحمولة وتطبيقات واتس آب وفيسبوك والوجوه التعبيرية وغيرها.

ومن المحزن أننا كبشر محاصرون بشعور زائف بالأمن تمنحنا إياه التقنيات الحديثة؛ فلدينا إيمان بالآلات أكبر من إيماننا بالبشر، ولهذا فإننا في الغالب نغفل عن الجوانب الدقيقة والجماليات في عالمنا وحياتنا. وبسبب الجهل، فإننا نعتقد أن الطعام الذي نشتريه من أقرب متجر لنا يأتي من مزارع خضروات محلي.

فنحن ننسى الحقيقة، وهي أننا سنموت جوعاً، نحن والنباتات والحيوانات، لولا الضوء والطاقة التي تمدّنا بها النجوم التي تبعد عنا ملايين وملايين الأميال.

كيف نخرج الناس من شرانقهم وعوالمهم المنعزلة؟ كيف نساعدهم على التواصل من جديد مع ما يحيط بهم، ومع الواقع الذي نعيش فيه بالفعل؟

يرى "أمّا" أن الأخوة المُحبة والقائمة على الحب ممكنة فقط عندما نقيم التواصل الداخلي مع الآخرين ومع عائلاتنا ومع محيطنا ومع الطبيعة، وقبل كل ذلك، مع الرب، ومع الذات.

لم يكن لدى أسلافنا اتصال بالإنترنت ولا هواتف محمولة أو حواسيب وأجهزة إلكترونية أخرى.

ولكنهم تعاملوا مع تحديات مماثلة جسدية وفكرية وعاطفية، إلا أن نظرتهم للحياة كانت أكثر توازناً.

لماذا؟ لأنهم تقبّلوا الحياة بكليّتها وتقبلوا وجود قوة عليا مهيمنة. كان الاهتمام والمشاركة موجودين داخل المنزل وخارجه، حتى في حال وجود صراعات في العالم الخارجي، لم تكن هناك أسباب للنزاع في عالمهم الداخلي. ولهذا، كانت هناك دوماً درجة من الأخوة، انعكست بدورها على أفكارهم وتصرفاتهم ومجتمعهم.

سمعت ذات مرة مقولة جميلة: إذا أردت أن تكون سعيداً لساعة، فخذ قيلولة. وإن أردت أن تكون سعيداً ليوم، فاذهب في نزهة، وإن أردت أن تكون سعيداً لشهر، فتزوّج، وإذا أردت أن تكون سعيداً لعام، فلترث ثروة. أما إن أردت أن تعيش سعيداً طوال حياتك، فساعد الآخرين.

نعم، هذا هو جوهر الأخوة الإنسانية الذي يكمن في خدمة الآخرين بإيثار، وأن يرى فيهم المرء امتداداً لذاته. ولهذا فإن فهم كليّة الحياة ووحدة الوجود أساس للأخوة الإنسانية. إنها عملية تطورية، تماماً كما تنمو البراعم لتصبح زهوراً .

ولكن الأفراد بإمكانهم أن يبدأوا تلك العملية في منازلهم؛ إذ أن لديهم الفهم الكافي وقوة الإرادة، مما سيكون له أثر على الجيل التالي على أقل تقدير. اسمحوا لي أن أقتبس من كلام "أما" مجدداً: "الأسرة، وليس الفرد، هي أساس المجتمع والحياة". ويجب النظر إلى الحياة الأسرية على أنها المدرسة الكبيرة التي يتعلم منها الفرد كيفية غرس بذور القيم الإنسانية والعناية بها، وغرس قيم المحبة والأخوة وكل ما هو جميل وفضيل. وإن لم نتمكن من إشاعة أجواء الأخوة والمودّة داخل الأسرة مع آبائنا وأزواجنا وأطفالنا وإخوتنا، فإننا لن نستطيع أن نحب أي شخص، وستبقى الأخوة الإنسانية بعيدة المنال.

نحتاج هنا إلى الوعي المستمر بأننا عندما نؤذي أو ندمّر أي مخلوق مهما كان على وجه الأرض -سواء بدا لنا مهماً أو غير مهم- فإننا في الواقع نؤذي وندمر جزءاً من ذاتنا وعنصراً من وجودنا.

قال أحدهم لحكيم: "أخبرني يا سيدي، في أي مجال عمل يمكنني أن أحقق نجاحاً؟" فابتسم وقال: "كن إنساناً طيباً. فالفرص هناك كبيرة والمنافسة ضعيفة." إن أساس الإنسانية الخيّرة يكمن هنا، في أن نفهم بأن من المستحيل إيذاء إنسان آخر أو أي مخلوق آخر دون أن نؤذي أنفسنا.

عندما ننظر إلى العالم من تلك الزاوية، يصبح الوجود بأكمله مثالاً رائعاً على الأخوة الاستثنائية، مثالاً جميلاً منسجماً للغاية، تختفي فيه الطبقية ولا يكون فيه أحد أعلى أو أدنى من الآخر. أستذكر مقولة جميلة هنا: "نحن لا نعيش في أكواخ أو شقق أو فيلات، بل نعيش في أذهاننا، وهي مقر حياتنا الدائم." لا توجد قيود للمساحة هناك، فهي منطقة شاسعة واسعة لا تحدها المسافات. والحقيقة أنه مهما بلغ تنظيم غرفنا وشرفاتنا وملاحق منازلنا، فإن الحياة تكون جميلة فقط عندما تكون أذهاننا صافية ومرتبة.

تخيلوا، إن أردنا العودة إلى الماضي، إذا تعمقنا في البحث كثيراً، فمن يدري؟ ربما وجدنا أننا جميعاً أخوة وأخوات يجمعنا رابط الدم.

لنفترض أننا أردنا التعمق أكثر، فقد ندرك بأننا جميعاً مرتبطون بالقوى الطبيعية، كالتراب والماء والنار والهواء والفراغ. ماذا لو سبرنا أعماق أنفسنا وذواتنا؟ من جديد، سنجد أننا جميعاً متحدون مع الإله، والوجود الرباني.

في الختام، سأقتبس مرة أخرى من معلمي الروحي "أمّا": "كل ما في هذا العالم يولد، ثم ينمو ليصبح شاباً وأخيراً يصبح مسناً. هناك بداية ووسط ونهاية. من الخارج نرى تغيرا مستمرا، ولكننا نرى أمراً يربط كل مراحل الوجود معاً – كل هذا التنوع في مراحله المختلفة.

فهي كمجموعة من الخرز التي تشكل عقداً في خيط واحد – حتى وإن بدت كل خرزة منها مختلفة، فهي مرتبطة معاً بخيط من الحب."

هذه الاستمرارية الجميلة التي تربط حبات الخرز معاً تمثل في جوهرها الرب، واقع الوجود فينا جميعاً. وعيش تجربة هذه الوحدة هي الأخوة الإنسانية الحقة.

كان القديس فرانسيس الأسيزي يخاطب الجميع كأخوته، حتى الحمير. وقال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام: "إن خير الناس هو من سلم الناس من لسانه ويده". يجب على القادة الدينيين والروحانيين أن ينشروا مشاعر الأخوة الشاملة تلك. أدعو الرب الواحد العظيم أن يباركنا لنرى هذه الوحدة ويهدينا لتحقيق حلم الإنسانية.

شكراً لكم